المصدر : أهـــرام
التاريخ : ٢٣ فبرايـــر ٢٠٠٠

عشية زيارة البابا يوحنا بولس الثانى

مصر أول بلد إسلامى يقيم علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان

يقوم قداسة البابا يوحنا بولس الثانى بزيارة إلى مصر يبدأها غدا وتستمر ثلاثة أيام، وهى زيارة فريدة من نوعها، وغير عادية، وفى غاية الأهمية. والبابا هو رئيس دولة مساحتها ٤٤ ,٠ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٤٥٥ نسمة. إنها دولة الفاتيكان، دولة المدينة التى تقع فى وسط العاصمة الإيطالية روما التى يقطنها الملايين من السكان. وكانت دولة الفاتيكان قد حصلت على استقلالها بموجب ما يسمى بـ «اتفاق لاتيران». إنها زيارة فى غاية الأهمية نظرا للاحترام والتقدير الكبيرين اللذين يحظى بهما قداسة البابا فى العالم. وتم انتخاب البابا الحالى رئيسا للإدارة البابوية، وبالتالى للكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٧٨ ليصبح بذلك البابا رقم ٢٦٤ وممثلا لأكثر من مليار كاثوليكى (حسب البيانات الرسمية) فى العالم. ويتميز البابا الحالى، البولندى الأصل، كارول فويتولا (هذا هو اسمه المدنى) بالتفانى والإخلاص فى أداء واجباته الدينية على الرغم من كبر سنه وتردى حالته الصحية.

ومن هذه العوامل كلها تأتى الأهمية القصوى للزيارة المرتقبة التى سيقوم بها قداسة البابا يوحنا بولس الثانى إلى مصر، حيث سيقابله الشعب المصرى فى حله وترحاله، بصرف النظر عن الانتماء الدينى، بمنتهى الاحترام والمودة. ومما لاشك فيه أن اللقاء بين الضيف الكبير وبين مضيفه الرئيس حسنى مبارك سيكون إحدى ذروات هذه الزيارة إلى مصر. زيارة تاريخية، ولقاء تاريخى.

فى إطار العلاقات الدولية تقوم دولة الفاتيكان، وعلى رأسها البابا، بدور فى غاية الأهمية نظرا لمنصبه العالى ونفوذه القوى. وبناء على ذلك تستطيع دولة الفاتيكان التأثير بشكل مباشر فى الأحداث العالمية. وفى ضوء هذه الحقيقة يكون من البديهى أن تقيم دولة الفاتيكان علاقات دبلوماسية مع ١٧٣ دولة فى العالم. وقد أرسلت مصر أول سفير لها إلى دولة الفاتيكان قبل ٥٣ سنة (أكتوبر ١٩٤٧) لتكون أول دولة إسلامية تقيم علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان. وقد وصل عدد الدول الإسلامية التى تقيم علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان حاليا إلى ٣٢ دولة إسلامية - عربية. وهناك خمس دول عربية فقط ليس لديها علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان وهى: المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر وسلطنة عمان وموريتانيا.

وتدعو زيارة البابا المرتقبة إلى مصر إلى إلقاء نظرة سريعة على تطور إقامة أولى العلاقات الدبلوماسية بين دول إسلامية ودولة الفاتيكان، عاصمة الكاثوليكية العالمية. وأود أولا أن أرجو القارئ الكريم ألا يسىء فهمى عندما أذكر فى إطار سردى للوقائع التاريخية أخى المتوفى البروفيسور على واسمى شخصيا، لأنه قدر لنا، نحن الاثنين، أن نساهم فى إقامة علاقات دبلوماسية بين دول إسلامية ودولة الفاتيكان:

مباشرة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، واستيلاء نظام شيوعى صربى على السلطة فى يوجوسلافيا سابقا، مما اضطر كثيرا من سكان البوسنة والهرسك وكرواتيا لمغادرة البلاد. وكان أخى، البروفيسور على، وأنا قد لجأنا فى بداية الأمر إلى إيطاليا، حيث بقينا سنتين. كان أخى على خلالهما يتردد بانتظام على مكتبة الفاتيكان الشهيرة، حيث اطلع على

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عدد كبير من الكتب والمحفوظات. وأجرى مباحثات مهمة ومفيدة. أما أنا فواصلت دراستى فى العلوم السياسية

فى جامعة روما. وكنت أول مسلم على الإطلاق يستمع بانتظام إلى محاضرات فى جامعة جريجوريانا حول علم الصحافة والإعلام. كما تعلمت أشياء كثيرة فى تلك الفترة.

تلقى أخى على وقتئذ عرضا من الحكومة الأفغانية عبر السفارة الأفغانية فى روما للعمل لديها كمستشار اقتصادى. وكان ذلك دافعا لنا لمغادرة إيطاليا فى فبراير ١٩٤٧ والتوجه إلى أفغانستان مرورا بالقاهرة، حيث قابلنا سياسيين مهمين أحدهما النحاس باشا لنقدم لحكومته الشكر على المساعدات التى قدمتها لمسلمى البوسنة أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان الأمين العام سراج الدين باشا هو الذى رتب لنا هذا اللقاء. ونظرا لاهتمام أخى بالشئون السياسية، وممارسته

العمل السياسى فى البوسنة والهرسك، ونظرا لكونى صحفيا شابا ومتشوقا لمعرفة المزيد، بذلنا جهودا كبيرة للاجتماع بـ «عبدالرحمن عزام باش»ا الأمين العام لجامعة الدول العربية. وكان اجتماعا لا ينسى نصحنا خلاله بعدم الذهاب إلى أفغانستان، وبالبقاء فى مصر أو فى العالم العربى. وبقينا أسبوعا كاملا ضيوفا على عبدالرحمن عزام باشا.

بناء على خبراتنا الواسعة التى جمعناها فى الفاتيكان أشرنا على عبدالرحمن عزام باشا أن تقيم مصر كأول دولة عربية - إسلامية علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان فى أسرع وقت ممكن، وذكرنا له الأسباب الآتية:

كان من المقرر فى خريف عام ١٩٤٧ أن تناقش الجمعية العامة للأمم المتحدة موضوع إقامة دولة يهودية فى

البابا يوحنا بولس الثانى

حسن سوليك

فلسطين. وكنا قد لاحظنا أنشطة كبيرة فى هذا الصدد من قبل يهود أمريكيين فى الفاتيكان، وجمعنا معلومات شيقة ذات صلة بهذا الموضوع. وكل هذه العوامل كانت تستوجب وجودا عربيا فى الفاتيكان. ناهيك عن الارتباط الوثيق بين دولة الفاتيكان وفلسطين، الأرض المقدسة، حيث كانت هناك مخططات لإقامة دولة يهودية فيها.

من ناحية أخرى كان من الضرورى جدا أن يكون هناك تعاون بين البلدان الإسلامية ودولة الفاتيكان لمواجهة أخطار الشيوعية الملحدة فى المجتمعات والدول. وقدمنا أمثلة عديدة على ذلك من وطننا.

ومرة أخرى، أحسسنا فى ذلك الوقت بأن قضية القدس ستلعب دورا بالغ الأهمية فى صراع الشرق الأوسط وارتأينا أنه لابد من التعاون مع الكنيسة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الكاثوليكية، ومن إظهار الروابط التقليدية الودية بين المسيحيين العرب والمسلمين فى فلسطين بشكل عام، وفى القدس بشكل خاص (مثال على ذلك احتفاظ عائلات مسلمة منذ مئات السنين بمفاتيح الكنائس المختلفة). هذه الوثيقة القيمة للترابط الوثيق بين المسلمين والمسيحيين العرب فى فلسطين كان ينبغى الاعتماد عليها بدعم من الفاتيكان أثناء المناقشات المرتقبة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، لاعتبارها حجة قوية لإثبات حق الشعب الفلسطينى فى وطنه. واعتبرنا ذلك أساسا للتعاون بين العالمين، المسيحى والإسلامى، من خلال إقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان.

ووافق عبدالرحمن عزام فورا على مقترحاتنا، وطلب منا إعداد مذكرة حول هذا الموضوع. وقمنا بإعداد هذه المذكرة التى تضمنت حججا أخرى. وتمت ترجمتها إلى العربية من قبل مسلمين بوسنيين كانوا يدرسون فى جامعة الأزهر. وتمت الإشارة فى هذه المذكرة قبل كل شىء إلى الاحترام والثقة الكبيرين اللذين يحظى بهما البابا فى جميع أنحاء العالم. لذا فإن المصلحة العربية تقتضى وجود الدول العربية ـ الإسلامية فى الفاتيكان.

بعد أسبوع من تقديمها تلقينا دعوة من عبدالرحمن عزام الذى أعرب عن ارتياحه الشديد لتلك المذكرة التى أطلع عليها الملك فاروق الذى أمر باتخاذ الإجراءات اللازمة لإقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان. وقال عبدالرحمن عزام إن النقراشى، رئيس الوزراء، الذى كان فى الوقت نفسه وزيرا للخارجية، هو الذى قدم المذكرة للملك فاروق. وكان قرار الحكومة المصرية القاضى بإقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان، وتعيين طاهر العمرى، السفير المصرى السابق فى جدة بالمملكة العربية السعودية، سفيرا لدى دولة الفاتيكان، حدثا سياسيا مثيرا فى القاهرة. ورحبت جميع الصحف المصرية وفى مقدمتها «الأهرام» و«مصر» وحتى «الإخوان المسلمين» لسان حال جماعة الإخوان المسلمين بقرار الحكومة المصرية هذا.

وفى نهاية عام ١٩٤٧ غادرت القاهرة بعد أن عين أخى على للعمل كخبير اقتصادى لدى الحكومة السورية. واستنادا إلى قرار الحكومة المصرية الذى شجعنى كثيرا عرضت الموضوع على الرئيس السورى شكرى القوتلى من أجل إقامة علاقات دبلوماسية بين دمشق والفاتيكان اقتداء بالقرار المصرى. ووافق القوتلى على ذلك، بيد أن الانقلاب العسكرى بقيادة حسنى الزعيم منعه من متابعة الأمر. وكان حسنى الزعيم أيضا مؤيدا للفكرة. وقررت الحكومة السورية فى مطلع الخمسينيات تعيين أنور حاتم وهو سورى مسيحى على مستوى عال من الثقافة، ويتقن اللغة الإيطالية إتقانا تاما وكان رئيسا لمكاتب رؤساء الوزراء السوريين السابقين كأول سفير سورى لدى الفاتيكان. ورحبت الصحف السورية أيضا، مثل الصحف المصرية، بإقامة علاقات دبلوماسية بين دمشق والفاتيكان، وفى مقدمتها صحيفتا «الأيام» و«النصر»، وصحيفة «المنار» الناطقة باسم الإخوان المسلمين. وهذا يدل على أن الأوساط الإسلامية فى مصر وسوريا كانت فى مقدمة القوى المؤيدة لإقامة علاقات دبلوماسية وثيقة مع الفاتيكان.

وحذا عدد كبير من الدول الإسلامية حذو مصر إذ أقامت إندونيسيا عام ١٩٥٠ علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان. وتبعتها باكستان وإيران وتركيا. واليوم يقيم أكثر من ٣٢ دولة مسلمة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان.

وقام عبدالرحمن عزام بزيارة إلى روما بعد فترة وجيزة من تقديم السفير المصرى طاهر العمرى أوراق اعتماده لقداسة البابا بيوس الثانى عشر فى أكتوبر ١٩٤٩. واستقبله البابا بيوس الثانى عشر وأجرى معه حديثا مطولا. وعشية هذه الزيارة أبلغ عبدالرحمن عزام الصحافة الإيطالية أنه يعتزم مقابلة البابا، رئيس الكنيسة الكاثوليكية، فى جو من الصداقة والإخاء، ليعرب له عن إجلاله وتقديره. وعقب اللقاء الذى تم بين الجانبين قال عبدالرحمن عزام: «إن الجانب العربى يعتبر قداسة البابا نظرا لرسالته العالمية مدافعا عن الإنجازات الفكرية المشتركة بين المسلمين والمسيحيين».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

تطور العلاقات الإسلامية بالفاتيكان له آثار إيجابية على القضية الفلسطينية

وأضاف عزام أن هاتين الديانتين تعتمدان على هذه الإنجازات الفكرية، ولكنهما مهددتان من قبل العدو نفسه المتمثل فى الأفكار المادية الملحدة. وأردف أن الترابط الفكرى بين الإسلام والمسيحية سيساهم بشكل فاعل فى إقامة كتلة مشتركة تضم أكثر من نصف البشرية، وبوسع هذه القوة الهائلة الدفاع عن أسمى المبادئ الأخلاقية، وقبل كل شىء عن السلام. وهى قوة مشتركة لدى الديانتين، الإسلام والمسيحية.

واستقبل البابا بيوس الثانى عشر وزير الخارجية السورى الأسبق أمير عادل أرسلان عقب إقامة علاقات دبلوماسية بين الدولتين. وكنت أحد أعضاء الوفد المرافق لوزير الخارجية السورى أثناء زيارته إلى روما تلبية لرغبته.

ومن العوامل الإيجابية لهذه العلاقات امتناع الفاتيكان لعقود عديدة عن الاعتراف بإسرائيل على الرغم من الضغوط القوية التى مورست عليها. ولم يعدل الفاتيكان عن موقفه هذا إلا بعد أن اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية إجراءات نحو الاعتراف بإسرائيل. واتضح موقف الفاتيكان هذا تجاه إسرائيل بجلاء فيما يتعلق بمدينة القدس. كما أثر موقف الفاتيكان فى موقف الولايات المتحدة والدول الأوروبية التى مازالت سفاراتها حتى الآن فى تل أبيب، وليس فى القدس. كما كان موقف الفاتيكان من العوامل الإيجابية المؤيدة للموقف الفلسطينى. ومما لاشك فيه أن الوجود العربى - الإسلامى فى دولة الفاتيكان ذو فوائد جمة. ولا يجوز لهذا الوجود أن يقتصر على عملية السلام الملحة الراهنة، وبالتالى على القضية الفلسطينية فقط، بل ينبغى أن يشمل، كما قال عبدالرحمن عزام، مجالات أخرى كثيرة، أهمها المجال الثقافى.

وكانت الزيارة التى قام بها الكاردينال تيسيران عام ١٩٥١ بمناسبة يوبيل جامعة الأزهر نتيجة مباشرة لإقامة علاقات دبلوماسية بين مصر والفاتيكان. وكان الكاردينال تيسيران من أشهر المستشرقين فى الغرب، ومسئولا عن الكنائس الشرقية فى حكومة الفاتيكان المسماة (كورى). وأثناء الزيارة التى قام بها إلى القاهرة اقترح مدير جامعة الأزهر إقامة ملحقية ثقافية لدى جميع سفارات الدول الإسلامية المعتمدة لدى دولة الفاتيكان من أجل تعزيز العلاقات بين الجانبين. وهذا ما تم فعلا فى هذه الأثناء.

وعندما يجىء البابا إلى مصر ينبغى على المسئولين أن يتذكروا ما قاله أول سفير مصرى لدى الفاتيكان طاهر العمرى بعد تقديم أوراق اعتماده لقداسة البابا بيوس الثانى عشر، ومفاده أن مصر أرادت أن تكون نموذجا يحتذى به من خلال إقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان. وقال بالحرف الواحد: «يعتبر الكرسى البابوى بصفته أعلى هيئة روحية فى العالم المسيحى الكاثوليكى تعمل من أجل السلام، ولا تسعى لتحقيق مكاسب مادية أو اقتصادية، عاملا مهما بالنسبة إلى البلدان الإسلامية فى مجال تعايش الشعوب. وتريد مصر أن تقدم نموذجا يحتذى به يبين أن مصر ليس لديها أية اعتراضات على تحقيق التضامن مع المسيحية من أجل مصلحة البشرية جمعاء». وهذا «النموذج المصرى» تم الاحتذاء به كثيرا مع مرور الزمن. وتمت الإشارة فى هذا المقال إلى بعض الأمثلة على ذلك. وتعتبر زيارة البابا الحالية إلى مصر هى أفضل تعبير عن النموذج المصرى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية